الحدث الذي أطاح بالحكم الملكي في العراق

ثورة الرابع عشر من تموز في ذكراها الثامنة والأربعين

عبد الكريم قاسم

سانتا ميخائيل

حلت في الرابع عشر من تموز الجاري الذكرى الثامنة والاربعين لثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨, والتي تسمى ايضا بحركة او إنقلاب ١٤ تموز ١٩٥٨, والتي أطاحت بالحكم الملكي في العراق حيث كان الملك فيصل الثاني ملكا على العراق.

ففي صبيحة يوم الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ قامت نخبة من طلائع الضباط الأحرار بتحريك قطعاتهم العسكرية نحو بغداد لاحتلال مقر الحكومة والقصر الملكي ومحطة الاذاعة يترأسهم الزعيم عبد الكريم قاسم ويساعده عدد من الضباط من بينهم العقيد عبد السلام محمد عارف. ويشبّه الكثير من المراقبين ما قام به الضباط العراقيون في ١٤ تموز بتلك الحركة التي قامت بها مجموعة من الضباط الأحرا في مصر في تموز ١٩٥٢.

ويعد الكثيرون ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، من أهم الأحداث العاصفة في تاريخ العراق الحديث، بعد ثورة العشرين "٣٠ حزيران ١٩٢٠"، وذلك لما أحدثته من تغيير جذري، ليس على صعيد العراق وشعبه فحسب بل وعلى سياسة المنطقة العربية والشرق الأوسط عموما، ولحد ما على السياسة الدولية بشكل وآخر. إذ تعتبر هذه الثورة حدا فاصلا بين مرحلتين في تاريخ العراق الحديث، العهد الملكي والعهد الجمهوري، ويرون أن تأثيراتها مستمرة وستبقى لأمد بعيد، ليس من حيث طبيعتها السياسية فحسب، بل ومن حيث الأبعاد الإقتصادية والإجتماعية كذلك. إذ يقول اللواء المتقاعد محي الدين الطيار "ضابط مظلي في الجيش العراقي منذ عام ١٩٥٢ولغاية عام ١٩٧٨", "الثورة بدلت معالم العراق بشكل جذري وغيرته من نظام قبلي علاوة على الملكية, الى نظام يخدم الجميع, وقضت على نفوذ الكثير من المتنفذين لفترة طويلة". وأضاف "عاش الشعب العراقي بتكاتف وتآلف, وجرت وقتها إصلاحات جذرية عظيمة لاتنسى أبد الدهر". مشيرا الى أهم تلك الاصلاحات بقوله "سن قانون الاصلاح الزراعي الذي نقل الفلاح من العبودية الى التملك مقللا من تأثير الاقطاعيين, بناء مصانع كثيرة, القيام بحملات كبيرة جدا في قطاع التعليم, وبناء المدن الصغيرة داخل المدن الكبيرة كمدن الضباط والشعلة والثورة في بغداد, وغيرها في الموصل والبصرة", مضيفا "ولا ننسى أول قرية نموذجية وهي اللطيفية". كما أشار اللواء الطيار والذي كان مستشارا في حكومة صدام حسين لغاية ١٩٨٧, الى إرتفاع مستوى الجيش مستدركا "إضافة أن الجيش كان معتنى به بسبب حلف بغداد, حيث أرسل المئات من الضباط الى المانيا وبريطانيا ...". لكن الثورة كان عليها مآخذ. وكما يقر محي الدين منها "فسح المجال في بدايتها للشيوعيين بالتوغل في الجيش وطبقات المجتمع, وهؤلاء كانت لهم مآرب خاصة، وكانوا ضد الوحدة العربية... مما أدى الى التطاحن وجعل القوميين يتكتلون ضد الشيوعيين وحدثت صراعات ومات الكثير وسجن آخرون الى أن أستقر الوضع". أما ثاني المآخذ فهو "الطريقة التي تم بها القضاء على العائلة المالكة", مؤكدا أن طريقة القضاء لم يكن مخططا لها أن تكون "دموية ". وقال الامور جرت بشكل عفوي, حيث عند دخول مجموعة من الضباط الى القصر, أستنفزهم أحد المرافقين التابعين للملك, مؤديا الى رد فعل من أحد الضباط, والذي أطلق النار على العائلة المالكة". أما حميد مجيد موسى السكرتير العام للحزب الشيوعي العراقي فيقول " الثورة كانت لحظة مضيئة في تاريخ العراق, وتغيير عظيم، لكن للاسف انتكست بسبب أخطاء بعض رجالاتها وبسبب المؤامرات والدسائس والتي أثمرت ثورة ٨ شباط السوداء، تلك الردة الفاشية، لكن ومع ذلك تظل ثورة الرابع عشر من تموز مفصلا مهما وحدثا عظيما في تاريخ الشعب العراقي".

وتتفق آراء المعاصرين للثورة وقائدها عبد الكريم قاسم مع ماذكره اللواء الطيار وأن أختلفوا في بعض الامور، حيث عد المهندس جاسم علي الموسوي"٦٤ سنة" الثورة "معلما تاريخيا ودلالة مهمة في تاريخ الشعب العراقي"، ويقول "أنجز الشعب العراقي تلك الثورة التي غيرت كيان المنطقة, فمثلا أخرجت العراق من منطقة الجنيه الاسترليني, وخطا خطوة مهمة تجاه التأميم بقرار ٨٠ ", لكن الموسوي يذكر مايعده من أهم منجزات الثورة وهو "إصدار قانون الاحوال الشخصية لسنة ٥٩"، وعن هذا القانون يقول "هو أول قانون تقدمي كفل حق المراة مع الرجل, وتجاوز الشرع بإعتماده الجانب المدني". أما كوركيس كوركيس "كاسب- ٥٢ سنة" فيقول عن أيام الثورة وماتلاها من إصلاحات امتدت لتشمل الجانب التعليمي وبناء المدارس في القرى البعيدة والاهتمام بطلاب المحافظات "كنا نعيش في قرية تقع على أطراف محافظة أربيل، لكن هذا لم يمنعنا من الدراسة، حيث كان المعلم يأتي يوميا ويجمع الطلبة من بيوتهم ليذهب بهم الى المدرسة, كما كان يتم توزيع الزي المدرسي الشتوي والصيفي علينا"، ويضيف "لانهم كانوا يتصورن أن غذاء الفلاحيين وأبناء القرى لايزود الاطفال بما يحتاجونه, فكانوا كل صباح يعطوننا حبة زيت الحوت مع شرب الحليب, وهي أشياء فقدت مع زمن حزب البعث". لكن قائد الثورة عبد الكريم قاسم تعرض وقتها وفيما بعد أيضا لانتقادات عديدة من رفاقه في التنظيم ومن خصومه, وأتهم بـ "الديكتاتورية, ومحاولة إبعاد خصومه وتصفيتهم, والرغبة في إبعاد العراق عن محيطه العربي". وعن الاتهام الاول يقول حميد مجيد موسى "عبد الكريم قاسم كان يملك صفات مزدوجة, فهو وطني مخلص, ونزيه دافع من أجل تحرير العراق وسيادته, لكن في نفس الوقت كان متفردا ولم يكن موقفه من الديمقراطية صحيحا, وهذا أحد أسباب مقتل الثورة.. وقائدها". أما الاتهام الاخير فينفيه موسى بقوله "كان عبد الكريم قاسم مخلص لانتماء بلده العربي والاسلامي, وكانت لديه رغبة في إقامة علاقات جيدة مع الدول العربية, لكن بعض الدول العربية هي التي ساعدت المتآمرين ودعمتهم ماديا ومعنويا لاسقاطه". في حين أكتفى المهندس الموسوي بالاشارة الى إنجازات قاسم في المجال العربي, كتفنيده للاتهام الاخير بقوله "دعم عبد الكريم قاسم ثورة الجزائر, وبعدها أرسل كتب اللغة العربية اليهم, دعم المغرب, وأسس أول نواة لجيش التحرير الفلسطيني في العراق". كما ويقارن العديد بين ما شهدته تلك الفترة من صراعات بين الاحزاب السياسية والتيارات الفكرية سواء الليبرالية أو الردايكالية أو الماركسية, وما يشهده العراق منذ سقوط نظام صدام وللآن من صراعات. حيث يقول اللواء الطيار "حدثت صراعات وإقتتال في ١٩٥٩, إلا أن الحكومة سيطرت عليه بسرعة, لان الحكومة لم تكن ترغب في إستمرار الصراعات, لكن في الوقت الحاضر فالله يستر ويوفق بين القلوب". في حين يقول المهندس الموسوي "مع الاسف انكسرت الثورة بسبب التناحر بين الاحزاب السياسية وقتها وتغليب المصلحة الذاتية على الاطار الموضوعي للثورة والشعب وهو ما اضعف الثورة وجعلها صيدا سهلا للمتآمرين, وما أشبه اليوم بالبارحة", لكنه يضيف وبإصرار "عمر الثورة كان ١٦٦٦ يوما وحققت إنجازات عظيمة, ومقارنة مع هذا الظرف فلايوجد أية منجزات واضحة المعالم تدلل عليها". الصراعات العنيفة التي حدثت بين تلك القوى ذاتها التي دعت للثورة وقامت بها, أدت بعد أربعة أعوام ونصف من إندلاعها إلى إغتيالها وإغراق البلاد في بحر من المشاكل الدامية مهدت لانقلاب عبد السلام عارف وأعوانه واستيلائه على السلطة في الثامن من شباط ١٩٦٣ وأعدامهم لرفيقهم في التنظيم عبد الكريم قاسم دون محاكمة علنية. ومن الجدير بالذكر أن الحكومة العراقية التي تشكلت بعد سقوط نظام صدام, كانت قد اتخذت قرارا بالغاء كافة الاعياد والمناسبات التي كان يحتفل بها النظام السابق. لكنها أبقت على الاحتفال بثورة الرابع عشر من تموز كعيد وطني.

الملك فيصل الثاني

متى تنتهي معاناة العراقي في طوابير الحصول على الوقود

سعد حسين

اشتدت ازمة توفير المحروقات في بلد يعد احد اهم البلدان المهمة المصدرة للنفط ويمتلك ثاني احتياطي نفطي في العالم بعد السعودية بل ان بعض الخبراء يعتقدون بأن العراق يمتلك مخزونا هائلا يتجاوز السعودية، مع ذلك فهو يعتمد اليوم على مستورداته من المشتقات النفطية من دول الجوار لسد حاجة السوق المحلية والتي تقدر تكاليفها السنوية بحوالي ستة مليارات من الدولارات سنويا.

تعترف المصادر الرسمية وغير الرسمية بأن المصافي الوطنية وما يستورد من خارج البلاد يفترض ان يغطي الاستهلاك المحلي اذا لم يكن يفيض عن حاجته ولكن مع ذلك يزداد الطلب على الوقود في كل يوم وتطول معه طوابير السيارات والشاحنات للتزود بالوقود من المحطات والتي قد تصل الى عدة كيلو مترات ويعود سبب ذلك الى تدهور الاوضاع الامنية وتفشي الفساد الاداري وعمليات تهريب الوقود خارج العراق.

مشكلة المواطن تكمن في محطة تعبئة الوقود التي لا ترحم حيث يعمل فيها اناس اغلبهم هدفهم الاول تحقيق اعلى عائد يومي سواء كان ذلك عن طريق الحلال ام الحرام من خلال ابتزاز المواطنين واجبارهم على دفع اتاوى اضافية على السعر الرسمي للوقود وفي حالات اخرى يحول جزء من حصة المحطة ليباع في السوق السوداء على مرأى ومسمع الرقابة ورجال حماية المنشأت والمحطات، يتهم بعض المواطنين اصحاب المحطات بسرقة مشتقات الوقود من خروج الشاحنة من المصفى حيث تفرغ كامل حمولتها في مكان اخر او تبقي على جزء منه لبيعه في المحطة، اما الشاحنات المستوردة من الخارج وخاصة من تركيا فأن عددا منها لايصل الى المحطة الاخيرة"المستودع".. وبعض المحطات التعبئة توقف البيع في الساعة السابعة وما يتبقى من وقود في الخزانات يفرغ خلال الليل ليباع في السوق السوداء بأضعاف سعره اذا ان لتر البنزين يباع رسميا بـ ٢٥٠ دينار فيما ان سعره في السوق السوداء بـ ٧٥٠ دينار، ويمكن من خلال هذه الارقام ان تقدر الربح غير المشروع الذي يحققه صاحب المحطة والعاملين معه فيما يخص بيع البنزين فقط واذا اضفنا عليه التلاعب في اسعار الكاز والنفط الابيض والغاز السائل سندرك كم يتحمل المواطن عبء هذا الفساد الاداري الجاحد الذي لم تضع له الدولة نهاية لحد الان.

اذا كانت الرقابة الرسمية ضعيفة وغير قادرة على اداء واجباتها كما ينبغي، فلماذا اذن لا تضع الدولة يدها على المحطة التي تخالف القانون وتتسلم الجهات الامنية مهمة بيع الوقود ضمن لجان مشتركة من الاجهزة الامنية ووزارة النفط ومنظمات من المجتمع المدني وفرض العقوبات الصارمة ضد كل من يحاول استغلال الشعب ونهب ثرواته وابتزازه.

لايمكن ان يتحمل المواطن الاذلال ومشقة الانتظار الطويل في ظروف الصيف الحار وتدهور الاوضاع الامنية، ليس من المعقول ان يتحمل المواطن رغم همومه الثقيلة مشاكل اضافية تزيد من آلامه ومعاناته اليومية، لم تتخذ لحد الان الاجراءات الرسمية للتقليل من حدة انتظار المركبة لتحصل على الوقود والتي قد تصل احيانا الى عشر ساعات متواصلة مما يعني هدرا كبيرا للطاقات البشرية التي يمكن ان نستفيد منها في مجالات اخرى.

فاذا كان تدخل الدولة غير ممكن لادارة المحطات وان العقوبات التي فرضت على المحطات المخالفة لا تتناسب مع الجرم فعلى الاقل تسمح الدولة للافراد بأنشاء محطات تنتشر في كل مكان ولا تقتصر على محطة ضخمة واحدة فقط او توزيع كابونات لاصحاب المركبات الاهلية والنقل العام تحدد فيها كمية الوقود الشهرية بشكل يتناسب مع حجم المحرك وكون المركبة مخصصة للنقل العام ام الخاص.

تبقى مسألة التلاعب بأسعار الوقود قائمة طالما لا توجد رقابة صارمة مدعومة من قبل رجال الشرطة ووزارة الدفاع ولابد من اشراك جميع مؤسسات المجتمع المدني في كل منطقة لمراقبة توزيع الوقود والمحروقات بكافة انواعها بشكل عادل وكشف تجاوز اية محطة على الاسعار الرسمية في وسائل الاعلام ومعاقبة العاملين فيها.

المقاهي البغدادية.. قديما!

عبد الكريم علي الوائلي

إن أول إشارة وردت عن وجود مقهى في بغداد جاءت في كتاب "كلشن خلفا" في عام ٩٩٩هـ ١٥٩٠م وقد كانت تدعى آنذاك "قهوة جغاله زاده" ويؤكد الباحث "يعقوب سركيس" في دراسته عن موقع هذا المبنى إنه كان في موضع "خان الكمرك" الحالي كما ذكره "فيلكس جونز" في منتصف القرن التاسع عشر ويعتقد يعقوب سركيس إنه أول مقهى بني في بغداد.

أما مقهى "حسن باشا" فيقول عنه إنه يقع في جوار جامع الوزير مدخل السوق المؤدي الى المستنصرية، وقد زاره الرحالة "تكبيرا" وجلس فيه في كانون الأول من عام ١٦٠٤م ووصفه بقوله: "ويستخدم في المقهى غلمان ملاح ملابسهم فاخرة لتقديم القهوة وقبض الدراهم وهناك الموسيقى تعزف وغيرها من وسائل التسلية واللهو". والتردد الى هذا الموضع أكثر ما يكون ليلا، أما في الشتاء "قنهارا" وهذا المقهى قريب من نهر دجلة وبه نوافذ ورواقات تطل على النهر فتجعله متنزها لطيفا جدا.

تعتبر المقاهي البغدادية من الأندية الاجتماعية التي تكمل دورة الحياة اليومية للسوق وللمحلة وهي بالرغم من خلوها من الطابع المعماري الخاص إلا إنها تمتاز بفضاءات ذات أجواء متسعة وخصائص إنشائية أساسية تستوعب أعدادا من الناس يفدون اليها طلبا للراحة واحتساء بعض أقداح الشاي أو القهوة "المرة" أو سحب من بعض الأنفاس من دخان "الأركيلة".

نشأت المقاهي البغدادية من ملحقات الأسواق، فهي ذلك الفضاء المسقوف تقع عادة في وسط السوق أو على جانب الطريق، مزدحم بالناس والمارة لا تختلف بناية المقهى عن الديوان. الملحق ببيت من بيوت الوجهاء آنذاك، لكن ما يميزها عن الديوان أو المرافق الأخرى من اماكن التجمع والاختلاط هو طراز حياتها الاجتماعي وعمران المقاهي في الماضي لا يختلف باختلاف فصول السنة. فهي صالحة للارتياد في الصيف والشتاء مع استعمال مستلزمات كل فصل، من تدفئة وتبريد بالطرق القديمة تتميز المقاهي قديما بالمقاعد الخشبية.. تعرف "بالتخوت" يقدم الشاي بالأقداح التقليدية المعروفة "بالاستكانات" بكامل عدتها مع الصحون والمعالق الرقيقة وعادة ما يمتلك "تادل" المقهى مهارة فائقة في المناداة وتقديم الشاي دون استخدام الطبق أو الصينية، فهو يحمل عدة "استكانات" مع عدتها ويتحرك بها بحرية دون أن تنسكب قطرة واحدة من الشاي وأثناء توزيع الطلبات ينادي لتحضير طلبات أخرى. إن مهنة "الجايجي" من اكثر المهن اختلاطا بالمجتمع فهو يحفظ أسماء الزبائن ويتعرف بسرعة على الزبون الجديد ويحفظ طلباتهم المعتادة على ظهر قلب، يحضر الشاي في زاوية بارزة من زوايا المقهى حيث تكتظ عادة "بالسماورات" والقواري الفوارة منها المصنوعة من الألمنيوم "الفافون" ومنها المصنوعة من الخزف الصيني.

يمتاز شاي المقاهي بجودة تحضيره، وذلك بتحديد نسبة الماء الى نسبة كمية الشاي وموازنة ذلك في فترة الغلي حتى تتم عملية "التخدير" كما هو متعارف عليها بالعراق. والى جانب الشاي وهو المشروب الرئيسي في المقاهي البغدادية، توزع القهوة بأقداح خاصة تعرف بالفناجين.

من المقاهي المشهورة في بغداد مقهى "سوق الدهانة" وهناك المقاهي البغدادية العريقة التي أصبحت مقرا دائما لأبرز شعراء العراق منهم الشاعر جميل صدقي الزهاوي والشاعر معروف عبد الغني الرصافي، والمقهى المتميز الآخر "مقهى الكاظمية" الذي يشغل بناية كبيرة ومن مقاهي ضفة الكرخ مقهى "البيروتي" القريب من السوق المركزي، وكذلك مقهى "حسن عجمي" في شارع الرشيد ومقهى "أم كلثوم".

ظلت المقاهي الى فترة قريبة محلا لتداول الحوار، ومكمنا للتعلم إضافة الى إنها للراحة ولقاء الأصدقاء، فهناك من يجلس عليها من الصباح الى المساء وبشكل يومي.. يمر بها بائعوا الطعام والصحف واخيرا أستطيع القول إن المقاهي تمتلك حسا توثيقيا ولعل مصدر القلق على الماضي الجميل هو الطفولة وريعان الشباب.

المصادر:

١. بغداد قديما لمصطفى جواد.

٢. د. أحمد سوسه.

٣. ناجي معروف.

٤. محمد قلية.